
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

استناد مشروعية الحاكمية للنسب الشريف في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط *

د. صالح معيوف مفتاح
كلية الآداب بني وليد

المقدمة

إن موضوع الحاكمية الذي اثار جدلا كبيراً في الدولة الإسلامية مند تأسيسها أي مند زمن الخلافة الراشدة طهرت له تمظهرات متنوعة من الشرعنة والمشروعية، في سبيل تأكيد كل طرف من أطراف الصداع لأحقيته بالحكم في مظاهرة المتعددة – الخلافة –لإمامة –لإمارة – الملك – وبذلك فقد كانت مسألة الخلافة ولإمامة عي المحور الذي دارت حوله الخلافات بين المسلمين، كما يشير الشهرستاني في كتابه الملل والنحل بقوله (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامه إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على لإمامه [1].فهو صراع وان تأسس على رغبة العديد من الأطراف في الحكم إلا انه لم يحسم بصورة نهائية في أي مرحاة من مراحل التاريخ كما أن قضية الحاكمية أو الوصول للسلطة كان دائماً محور صراع طبقي وعرقي وقبلي في مختلف الأمم والشعوب التي شهدت أنظمة شمولية عامة تستمد سلطتها من مشروعيات متعددة، ففي الحضارات القديمة كان الملك نصف إله أو إله كما في الحضارة الفرعونية والسومرية ((قال فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى)) ثم ظهر مفهوم إن الحاكم هو ظل الله في الأرض ووجد هذا المفهوم في أوروبا وأخذه منهم المسلمون مثل ما أشار أبوجعفر المنصور في خطابه للعامة إنه ظل الله في أرضه وخليفته وامنح أو امنع عنكم عطاءكم بأمر الله. حتى إن بعض الحكام تسموا بأسماء ذات صفات إلهيه الحاكم بأمر الله والمعتصم بالله– كل ذلك في سبيل تأكيد مشروعية الحاكمية بأنها أمر إلهي، وأدعى

---

* قُدّم هذا البحث في ندوة الأنساب الشريفة التي عقدت بطرابلس في الفترة من 21- 23 يناير 2008.

الفاطيون بأن الحاكم هو الإمام المعصوم وأدعي بعد ذلك بعدهم المهدي بن تومرت إمام دولة الموحدين في المغرب، كل هذه الادعاءات كان أساسها الحاكمية أو السلطة السياسية التي كانت محل نزاع وصراع منذ الأزل ولم تحسم بشكل نهائي في أي مرحلة من مراحل التاريخ .وفي هذا البحث رأينا أن نلقي نظرة على نماذج من أدعاء المشروعية السياسية في إطار ديني ونسب نبوي للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفدت كل المشروعيات السابقة مثل النسب القرشي الذي تزاحم فيه الكثيرون ثم النسب العربي الذي وسع دائرة الصراع ثم شرط الإسلام فقط مهما كان نسب الحاكم إلى غير ذلك من المعالجات الظرفية التي تفتق عنها ذهن الجماعات المتصارعة في سبيل الحكم إلى حكم العصبية أو سلطة القوة وفق عامل العصبية والدين الذي نظر له ابن خلدون من خلال تتبعه لقيام الدول في بلاد المغرب مثل المرابطين والموحدين وبني مرين وغيرها من الدويلات التي قامت على عصبية قبلية مدعومة بدعوة دينية أو مذهبيه بعد أن وهنت كل الشرعنات الروحية الأخرى.
في هذا البحث سنتناول نموذج من هذه المشروعية وهو مشروعية الحكم في ظل الانتساب للبيت النبوي.وهو الأساس الذي اشتغلت عليه الشيعة وشرعنته في مفهوم ديني حتى إنها اعتبرت الخلافة هي ركن من أركان الدين ولا يجوز للنبي أو الإمام إغفالها.ويعالج هذا البحث استناد مشروعية الحاكمية للنسب النبوي الشريف في ابرز تمظهرها في دولتي الادارسة والفاطميين في بلاد المغرب.

الإستناد للنسب النبوي تسييس الدين وشرعنة السلطة :

أن التوظيفات السياسية التي علقت بالنسب الشريف تدل دلالة واضحة على أن أصحاب تلك الادعاءات يرغبون في البحث عن مشروعية دينية، لأعمالهم السياسية التي قاموا بها، إذ بالانتساب إلى الدوحة النبوية الشريفة، يكون قد اكتسب صك الاعتراف به من عامة المسلمين قبل التيارات السياسة المعارضة، وهذا ما جرت عليه العادة في الصراع السياسي لدول الإسلام في العصر الوسيط، إذ نجد أن تأكيد شرعيته وأحقيته السياسية في الحكم، خاصة إذا لم يكن هناك سند شعبي داعم لتلك الدولة أو مبررات واقعية للتغيير. كما أن اشتراط النسب الشريف للحاكمية لم يكن مطلباً سنياً بالأساس، بل كان مطلب الشيعة الذين جعلوا الإمامة من الأصول وبالتالي لا يمكن التنازل عنها لأحد من واجب الرسول صّ أن يوصي بها لأحد من آل بيته . ولما كانت منزلة الرسول صّ سامية وكاملة في نفوس المسلمين على مختلف أعراقهم، والإيمان به وبنسبه جزء من الإيمان التام برسالته وبعثته، فإن هذا الولاء للرسول العظيم جعل مجرد الانتساب إليه له وقع عظيم في نفوس المسلمين ، وبذلك ظهر المنتحلون لهذا النسب لإيقاعه في نفوس المسلمين موقع الاحترام و القداسة أيضاً ، وعليه عول عدد من دعاة السلطة وانتحلوه أو انتسبوا له حقاً فلقي هذا صدى في نفوس المسلمين، ولازال إلى يومنا هذا الانتساب إلى الدوحة النبوية يثير الاحترام في نفوس سامعيه، ولو رجعنا إلى آخر عهد الرسول صّ وانتقاله للرفيق الأعلى، وحتى أثناء اجتماع

السقيفة بين المهاجرين والأنصار، لاختيار خليفة لرسول الله لإدارة شؤون المسلمين، لم يكن مبدأ الانتساب إلى الدوحة النبوية له متعلقات سياسية ولم يركن إليه المجتمعون في سقيفة بني ساعدة أو يحتج به طرف على الآخر. إذ كان احتجاج المهاجرين بأنهم من قريش وأن رياسة العرب فيها ولو كان هذا الأمر في غير قريش لا تنازعتة القبائل الأخرى، وكل أدعت حقها في الخلافة، ولكن عندما يكون الأمر قد اسند إلى قبيلة قريش التي بيدها الأماكن المقدسة وتجارة الحجاز وملتقي العرب قبل الإسلام وبعده فهي مجمع عليها دون غيرها، وأن الرسول صنّ صاحب الدعوة فيها[2].فلم يتم الاحتجاج بنسب بل لعصبية قرشية عامة، ولكن نجد في ذات الوقت قد نبثت بذرة الاحتجاج بالنسب وربطه بالسياسي عندما أشارت بعض المصادر الى تلكؤ عليٍّ وتأخره في البيعة وعدم رضا بني هاشم على بيعة أبي بكر ، مثل العباس. ورأى عليٍّ بأنه أحق بالخلافة من غيره لقرابته من الرسول وهو أول من أسلم من الرجال.الى أن أخذت الشيعة هذه الحجة وبلورتها في ايدولوجيا أصوليه ثابتة بأن عليّ هو الوصي وهو أحق من غيره وان الإمامة ركن من أركان الدين[3].

مبررات استخدام النسب النبوي :

وربما زاد من ضرورة الاتكاء على النسب النبوي الشريف، هو ما لجأ إليه الأمويون من تأكيد أحقية قريش في الخلافة ووضعت أحاديث في ذلك مثل (الأئمة من قريش)[4] لذلك رأت بعض الجماعات التي تتساوق أفكارها مع منظومة الحديث السنية ومن أهمها الشيعة، وهي حصر الامامه في البيت النبوي، وأنها من أصول الحكم، أي أن هناك شيء من التسابق المحموم بين من يُتَّخذ من الانتماء لقريش مصدراً لمشروعية حكمه ومن يتكي على النسب النبوي الشريف مباشرة.

ولذلك نجد أن هذه المشكلة تتجلي بشكل كبير أبان الحركة السرية (للعباسين) وهي دعوة للرضاء من آل محمد، قامت في وجه الأمويين لاستقطاب الموالي الساخطين على الأمويين وهي دعوة مواربة سابها الغموض في منطلقات دعوتها، إذ نجدها في نهاية الأمر بعد نجاح أبي مسلم الخرساني في القضاء على الدولة الأموية ، تسفر عن وجهها الحقيقي وهو إعلان الدولة باسم آل العباسي العلي بن أبي طالب) من الحكم وبالتالي تحول هذا الفرع إلى المعارضة التي أخذت أشكالا متنوعة من الدعوة سراً إلى (الجهاد) والكفاح المسلح كما حدث في موقعة فخ بالحجاز وما نتج عنها من تشتيت شمل الطالبين وتفرقهم أيدي سبا على يدي الجيش العباسي.إذ فر إدريس بن عبدالله إلى بلاد المغرب وأخوه الحسن إلى بلاد فارس، وسنتناول في هذا البحث إدريس بن عبدالله باعتباره ضمن مجال الدراسة (الأشراف

في بلاد المغرب).ولكن لماذا أصبح التعلق بالنسب النبوي الشريف كمبرر شرعي للحكم بعد أن كانت العرب تختار الخليفة عن طريق مجلس الشورى، وهو ما سار عليه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم ولكن بمجيء الدولة الأموية وانتقال مؤسسة الدولة من نظام القبيلة في الشورى واختيار الخليفة، إلى الدولة المركزية، وهي تعد تطوراً جديداً لحق بالمنظومة السياسية العربية إذ كانت في عهد الخلافة الراشدة تتسم بالبساطة، ويتم اختيار الخليفة من أهل الرأي أو من وجوه القوم الذين أسمتهم المنظومة الفقهية فيما بعد بأهل (الحل والعقد) ولكن بتكون الدولة الأموية وانضمام الأعاجم من الأمصار الأخرى غير الجزيرة العربية، وانتقال حاضرة الدولة إلى الشام اخذ نمط الدولة السياسي نظام الدولة المركزية التي تضم مجموعة أنصار وليس قبيلة وحدها أو الأنصار فقط ، مما ترتب عليه تغيراً كبيراً في بنية النظام السياسي إذ أن معاوية في آخر عهده أو كل أمر الخلافة لأبنه يزيد، الأمر الذي اعتبرته الأوساط العربية خروجا عن مبدأ الشورى الذي كان سائد في ذلك الوقت ولذلك حدثت المعارضة والخروج على هذا النظام رغم أنه يتفق والتطورات والأوضاع السياسية للدولة العربية الإسلامية، مما مهد الطريق للبحث عن شرعية جديدة للخلافة، تمثلت في الرجوع إلى أن يكون الخليفة من آل البيت وأنهم أولي من غيرهم بهذا الحق، وهو ما كرسته المنظومة الشيعية في منظومة تنظيرية، مفادها أن الإمامة من أصول الدين، وأنه لا يجوز للرسول أن يتركها دون أن يوصي بها لشخص من آل بيته.

مبررات ظهور الدعوة في أطراف الدولة :

ونتيجة لحب المسلمين للرسول الأعظم صّ وآل بيته وكرد على العباسيين الذين جاءوا بعد بني أمية واعتبروا أيضاً مغتصبين للسلطة فكانت الدعوة لحاكمية آل البيت مطلباً نادي به العلويون في وجه أبناء عمومتهم العباسيين، ويأتي ذلك في سبيل إيجاد مشروعية الحكم والأحقية فيه لكل طرف بعد أن غاب الاتكاء على مبدأ القرشية والتي أصبح الخصوم مشتركين فيها، فكان لابد من البحث عن شرعية جديدة للحاكمية أكثر أقناعاً لحركات المعارضة والعامة من الناس، ويمكن أن تجد صداها لدى الناقمين والمعارضين، لذلك نجد أن هذه الأفكار تجد بيئتها في الأطراف بعد أن يكون المركز قد أحكمت عليه الدولة سلطتها، وعادة الأطراف يوجد بها المعارضون والمهمشون والناقمون على السلطة التي تنظر إلى الأطراف أنها مصادر جباية للأموال في مختلف صورها خراج – أو مصادرة أو جزية، إذ يمارس الولاة كل أنواع العسف في سبيل جبايتها من الأهالي الأمر الذي يولد ردة فعل عند هؤلاء ويجددهم يبحثون عن البديل المعارض لسلطة المركز.

لذلك بمجرد أن يصل أصحاب هذه الدعوة إلى الأطراف يتلقفها المعارضون والناقمون على سلطة المركز، فبلاد المغرب قبل أن تتبني الولاء لآل البيت والنسب النبوي لشريف 172 هـ ممثلا في إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي(5).

قبل هذا التاريخ وفي 122 هـ أحتظنت حركة خارجية صفرية بزعامة ميسرة المطغري لذي خاض معارك عنيفة مع ولاة السلطة في إفريقية تكبد خلالها الطرفان خسائر فادحة نتج عنها خروج المغربين الأوسط والأقصى من يدي السلطة المركزية، إذ تكونت دولة صفرية ي سجلماسه جنوب المغرب الأقصى 140 هـ وتكونت في المغرب الأوسط دولة إباضية 162 هـ في تاهرت.

وفي نفس الوقت كانت تصل أصداء الصراع العلوي العباسي داخل البيت الهاشمي إلى لاد المغرب إذ كان هناك تنافس في القرابة من النبي صﷺ بين الفريقين، وكل طرف يدعى قرابته بالرسول وأحقيته بالخلافة ليعطيها مبرراً دينياً جديداً بعيداً عن عصبية قبيلة قريش وعصبية العرب، وهي المفاهيم التي نادي الخوارج برفضها وعدم اختيار الخليفة وفق معاييرها واشتراط الإسلام فقط في من يتولي أمر المسلمين.

لكن مفهوم الانتساب للبيت النبوي وأحقيته بالخلافة قد تأسس حوله مذهب قوي ينادي بأن لإمامة من أصول الدين وهو المذهب الشيعي.

الأمر الذي أكد رابطة العلاقة بين الانتساب للدوحة النبوية والأحقية (الدينية) أو السلطة الروحية للخلافة، وعلى هذا الأساس بمجرد وصول إدريس بن عبدالله بن الحسن فاراً من اقعة فخ التي وقعت بالقرب من مكة بين العلويين والعباسيين أصحاب السلطة والتي عرض فيها العلويون لإبادة كادت أن تقضي عليهم إلا من فر مثل إدريس الذي خرج هارباً ى بلاد المغرب عن طريق مصر وبرقة إلى أن وصل طنجة مع مولاه راشد الذي كان له ور كبير في مساندته ثم إلى أن وصل إلى منطقة وليلي وهي تقع في منطقة خصبة ستراتيجية بين سلسلة جبال الريف شمالاً والأطلس المتوسط جنوباً في منطقة زراعية سيطر على مفاصل الطرق في بلاد المغرب. إذ احتضنته قبيلة أوربة وزعيمها إسحاق بن حمد بن عبدالحميد الأوربي(6).

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الدول التي أتخذ قادتها من النسب الشريف شرعية وحية للحكم، يجدر بنا أن نطرح مجموعة من التساؤلات لتسليط الضوء على تاريخية ستخدام النسب الشريف أو توظيفه لأمر الحاكمية أو السياسية.

كما أسلفنا في اجتماع السقيفة كانت الغلبة للقبيلة والاحتجاج بها لماذا لم يتم الاحتجاج حقية آل البيت في الخلافة في ذلك الموقف وهو قريب العهد من الرسول الأعظم صﷺ ما هو

موقف الرسول الكريم صّ من الخلافة أو من الحاكمية؟ وردت بعض الأحاديث الموضوعة والتي أسقطها الواقع التاريخي مثل حديث الإمامة في قريش[7] إذا كان الحديث صحيحا لماذا حدث الصراع بين المهاجرين والأنصار؟ وكان من باب أولي الامتثال لأمر الرسول صّ في ذلك.

بعد ذلك لم يتم الاحتجاج بالنسب لآل البيت وخاصة في خلافة عمر وعثمان لماذا؟. تذكر المصادر أن على كان علي خلاف ذلك متردداً في مبايعته لأبي بكر، إذا من أين جاءت فكرة شرعية السلطة من خلال انتساب الحاكم لآل البيت النبوي؟.

في إجابة مختصرة جداً أقول إن هذا المبدأ أو التلويح بهذا الشعار الجديد جاء بعد إن سقطت شعارات سياسية كان لها مشروعيتها التي نادي بها الخوارج وأهمها الخلاص من النظام الوراثي والعودة إلى اختيار الأمة، وهذا لم يحصل عندما تولي الخوارج الإباضية السلطة في المغرب الوسط.

قبل التأسيس لقيام دولة الادارسة•في بلاد المغرب الأقصى على أساس الانتساب للبيت النبوي، كجزء من ظاهرة بدأت تنمو منذ اجتماع السقيفة، وهي شرعنه السلطة السياسية برافد ديني، وأخذت تبرز في إشكال وظروف متعددة لإثبات أحقية المطالب بالسلطة السياسية في مشروعية دينية.

قبل هذا التأسيس يمكن استدعاء النصوص الدينية التي اهتمت بالأنساب وبالنسب الشريف لنفهم من خلالها مدى الخلط الذي حدث في أسباب الاهتمام بالأنساب والحث عليها وذلك لأسباب دينية أخري وتوظيف هذا النسب للقضايا السياسية فيما بعد.

مبررات الاهتمام بالأنساب :

إذ أكد الإسلام علي حفظ ورعاية الأنساب وحث علي صلة الرحم وبني علي ذلك الكثير من أحكامه ليهتم المسلم بحفظها في حدود حاجاته الشرعية لا علي أساس التفاخر والعصبية القبلية [8].أي بمعني آخر حث الإسلام علي صيانة الأنساب لحفظ النوع البشري من الضياع أو تفسخ المجتمع عندما تختلط الأنساب ويحدث اضطراب في النكاح والمواريث التي نظمها الإسلام بشكل دقيق جدا في نصوص قرآنية متعددة، وللتأكيد علي أن معرفة الأنساب والحرص عليها جاء لأسباب دينية، ولتنظيم العلاقة بين العبد وربه وليس لأهداف أو توظيفات سياسية قال الله تعالي في محكم التنزيل:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[9] .والمراد بذلك التعارف بين الناس حتى لا يُعْزَى أحد إلى غير ابائه ولا

ينتسب إلى سوي أجداده، وعلي ذلك تترتب أحكام النكاح والإرث والعتق والديات والوقف وغيرها[10].وقال الرسول الكريم صنّ (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر) [11] وردت عند ابن حزم (منسأة في الأجل مرضاة للرب)[12].كما أوجب الإسلام معرفة نسب النبي الكريم صنّ وفي ذلك قال ابن حزم (فالغرض من علم النسب هو أن يعلم المرء أن محمد صنّ الذي بعثه الله تعالي إلى الجن والأنس بدين ألإسلام هو محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي، الذي كان بمكة ورحل منها إلى المدينة. فمن شك في محمد صنّ أهو قرشي أم يماني، أم تميمي، أم أعجمي، فهو كافر، وغير عارف بدينه، إلا أن يعذر بشدة ظلمة الجهل)[13].وأوجب أيضا معرفة قربي الرسول صنّ لوجوب مودتهم المفروضة بقوله تعالي((**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ** في القربى))[14].وما ترتب علي معرفة أنسابهم من أحكام كتحريم الصدقة عليهم ووجوب الخمس لهم[15] وكل ذلك يقع في إطار تكريم النسب النبوي الشريف في المعاملات الدينية الاجتماعية لهذا السبب، وهذا أمر محمود وتجمع عليه كل الأمة ولا خلاف في ذلك، لقوله عليه الصلاة والسلام (أنزلوا الناي منازلهم). أي أن المنتسبين للدوحة النبوية الشريفة أحق بالتبجيل والاحترام والتقدير، ومودتهم بنص القرآن الكريم. هذا ما هو مجمع عليه من كل المذاهب ومؤكد صدقاً قولاً وعملاً.

لزج بالنسب النبوي في السياسة :

ولكن ما يجب إثارته في هذا البحث هو الزج بالنسب النبوي في أمور السياسة أو خصام السياسي وإيجاد شرعنة دينية روحية لإعمال بعض الحكام أو الإئمة بانتحال نسبهم دوحة النبوية.فادريس بن عبدالله بن الحسن بعد فراره من موقعة فخ التي كانت قرب مكة يث أوقع فيها العباسيون بالبيت العلوي مقتلة عظيمة في خلافة الهادي العباسي[16] وصل ى بلاد المغرب الأقصى مع ركب الحجيج، إذ حط به الترحال في منطقة وليلي الواقعة بين اس ومكناس على طريق جبل زرهون، وهي منطقة تمتاز بخص الأراضي المحيطة ا[17]. ويمكن إثارة سؤال حول رحلة إدريس أي بلاد المغرب دون سواها؟ حتى نستطيع ، نضع بحثنا هذا وفق منهجية منتظمة السياق التاريخي فيما يتعلق بالتوظيفات السياسية

للدين واستغلال كل ما له علاقة بتأكيد الشرعية أو الأحقية السياسة في الحكم فإدريس الذي توجه إلى باد المغرب كان يعلم من خلال مولاه راشد أن هذه البلاد مناوئة للسلطة الحاكمة (الخلافة العباسية). بل لم تتعد سلطة العباسيين بلاد إفريقية (تونس الحالية) وهي الأخرى غير خاضعة خضوعاً مباشراً للعباسيين، الأمر الذي يجعل قبيلة أوربة وما حولها من القبائل في حكم الخوارج أو المعارضين للسلطة، ولكنها في ذات الوقت تفتقد لأداة سياسية ذات مشروعية دينية، خاصة بعد انتهاء فترة الخوارج بقيام كيانات سياسية لهم في كل من العرب الأوسط الدولة الرستمية 162 هـ وقبلها في جنوب المغرب وتحديداً في سجلماسة قيام الدولة (الصفرية140هـ) بقي المغرب الأقصى تتنازع قبائله السيادة، ومن أهمها قبيلة أوربة واسعة الانتشار والتي كان ينتمي إليها كسيلة أبن لمزم الذي كان له دور في مقاومة الفتح وهو ما جبلت عليه القبائل المغربية من رغبة في الاستقلال، وهي تشبه في ذلك القبائل العربية في شبه جزيرة العرب وخاصة قبائل الحجاز إذ تأنف من الخضوع للحكام والملوك، ولكن تخضع لعرف القبيلة وتقاليدها، وحب هذه القبائل للنجدة والشجاعة ولذلك رأى إدريس بن عبدالقادر الفار من المشرق أن ينزل بجوار هذه القبيلة (أوربة) بزعامة إسحاق بن محمد عبدالحميد الأوربي[18]. ليتفق عنصران يراهم ابن خلدون مهمين لقيام الدولة وهما (العصبية والدين) لذلك كان مقدم إدريس فرصة جيدة لزعيم أوربة شخصياً ولقبيلة أوربة بشكل عام، إذ أن نزول شخص ينتمي للبيت النبوي يعلي من شأنهم بين القبائل الأخرى أو هو الشرعية الدينية التي كان يبحث عنها هذا الزعيم بعد أن فقدت العصبية العربية أو القرشية أهميتها أو تلاشت لعدة أسباب تاريخية وسياسية؛ منها ظهور فرق الخوارج الذين نادوا بالحاكمية لأي مسلم مهما كان جنسه.

حاجة قبائل المغرب لدعم مشروعهم السياسي بالنسب النبوي :

إذا نحن أمام شرعنة جديدة لم تستخدم من قبل رغم مناداة الشيعة بها وهي الحاكمية من بيت النبوة بعد أن فقدت كل الأوراق الأخرى أمام ضغط الخوارج قيمتها الشرعية، إضافة إلى أن هذا الانتساب لقي هوى في نفوس قبائل المغرب وترحيباً به لترى فيه رمزاً لمعارضة السلطة المركزية. إذ نلاحظ إن تلك القبائل كانت متحفزة دائماً للخروج والمعارضة لسلطة الخلافة المركزية، فنجدها سهل استمالتها لكل دعوة سياسية أو مذهبية جديدة ترى قبائل المغرب أنها تشكل نوعاً من المعارضة للسلطة المطلقة للدولة المركزية، وقد درجت على هذا النهج مند العهد الأموي، إذ تبنت بعض القبائل المغربية دعوة الخوارج من الصفرية والإباضية ودخلت في صراع مع ولاة الدولة الأموية، بعد اضمحلال تلك الثورات وتشردمها في كيانات منزوية في مجالات جغرافية معينة مثل الإباضية والصفرية – كما سلفت الإشارة إلى ذلك– ها هي تلك القبائل تستقبل دعوة من نوع آخر مختلفة عن

سابقاتها وهي أن الثائر الجديد كان متسلحاً بانتماءه للبيت النبوي، الأمر الذي وجد قبولاً سريعا في أوساط القبائل المغربية نظراً لالتقاء أهدافها مع أهداف العلوي القادم من مذبحة فخ وهو معارضة للسلطة العباسية، ولم تخذل القبائل المغربية هذا الثائر الجديد أو تتخلي عنه أو تستبدل موقفها حتى بعد اغتيال المؤسس ((إدريس بن عبدالله)) من قبل العباسيين، إذ ترك جنينا في بطن أمه احاطته القبائل المغربية ومولاه راشد بكل رعاية واهتمام إلى أن بلغ سن الرشد فولوه إماماً عليهم مكان أبيه إدريس الأول[19].ومهما يكن من أمر هذا التحالف بين الأدارسة وقبائل المغرب، فأنه أظهر لوناً جديداً من ألوان الشرعنة الروحية وهو إظهار النسب لآل البيت النبوي بدأ يظهر على السطح ويجد صداه في القبائل الساخطة على السلطة المركزية، ورغم ما تعرض له الأدارسة من نكبات على أيدي خصومهم من الأمويين في الأندلس والأغالبة في افريقية؛ إلا أن انتسابهم لآل البيت شكل لهم رصيداً معنوياً قوياً بين عامة الناس.

وتأسيساً على ذلك فإن تقدير آل البيت ومحبتهم لازالت راسخة في المجتمع المغربي إلى يوم الناس هذا.وقبل أن ننتقل إلى جزئية مفصلية من هذا البحث وهي تأسيس الفاطميين لدولتهم في إفريقية واستنادهم على الانتساب النبوي، تجدر الإشارة إلى أن هناك قضية خلافية بين ما قامت عليه دولة الإدارسة في فاس والدولة الفاطمية في إفريقية رغم انتساب أو إدعاء كل المؤسسين لآل البيت وهذه القضية. أن إدريس بن عبدالله قد وصل بنفسه فاراً مطارداً من العباسيين الذين أوقعوا بآل بيته في موقعة فخ – كما أسلفنا – قد وجد نفسه مباشرة أمام قبائل المغرب وعلى رأسها قبيلة أوربة أعظم قبائل المغرب، ودخل في مذهبها الفكري والديني ليحقق الاتفاق الإيدولوجي مع الانصار الجدد إذ تقول المصادر (وكان إسحاق بن محمد الأوربي معتزلي المذهب فوافقه إدريس على مذهبه)[20].وهنا يظهر لنا سبب الانسجام والتوافق بين إدريس وقبائل المغرب التي وافقها على مذهبها فأيدته وناصرته، بينما حدث العكس مع الفاطميين الذين جاءوا متسلحين بفكرهم وأيدولوجيتهم التي لم تتفق ومذهب أهل إفريقية وبلاد المغرب وهو المذهب المالكي السني، ولذلك حدث التنافر بين مذهب أهل البلاد السني وبين مذهب الإمام الفاطمي الشيعي (الاسماعيلي).وما يهمنا في هذا البحث هو أن الانتساب لآل البيت استخدم في بلاد المغرب كأحد رموز المعارضة لسلطة العباسيين التي استخدمت المفهوم نفسه ضد الأمويين، ونجحت في ضم الموالي والناقمين على بني أمية تحت ستار " الدعوة للرضا من آل محمد "، حيث أخذ دعاة النسب النبوي الشريف مسميات جديدة تميزهم عما كان قائماً زمن ثورة العباسيين إذ انتسب هؤلاء لآل البيت من جهة ابنة الرسول صّ فاطمة الزهراء وهم الأسباط محاولين قطع الطريق

على العباسيين المنتسبين من ناحية ابناء العمومه للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم باعتبارهم حفدة العباس عم النبي وأحق الناس بوراثته[21].

لمحة عن أصول التشيع :

إن مبدأ الشيعة العام هو التشيع لعلي بن أبي طالب وأسرته ولكن الأساس في هذا التشيع هو السياسة أي أنه دو أبعاد سياسية يرمي إليها وهي مسألة الحكم أو الحاكمية والأساس الشيعي في السياسة هو مبدأ شرعية الحكم؛ فعلي وبنوه هم الخلفاء حقاً أو الإئمة بصورة أوضح، أما غيرهم فمغتصبون.وذلك إن الأمام عندهم هو وريث بعثه النبي، ويتم تعيينه بتوجيه إلهي عن طريق وصية سرية تنتقل من إمام إلي إمام، وهؤلاء الإئمة معصومون من الخطأ.وبناءً على ذلك جمعت الشيعة مبدأ الوراثة الملكي ومبدأ النبوة، مما ترتب عليه أن أصبح وجود الإمام ضروريا لكل زمان ومكان[22].وحقيقة المذهب الفاطمي الاسماعيلي أنه من مذاهب الشيعة الغلاة، الذين أضفوا على الإمام صفات إلهية، تضعه فوق مستوى البشر[23].فهم يقولون أن روح الله تحل في الإئمة حلولاً شبه كلي، وذلك على عكس جمهرة الشيعة الأمامية الذين يقولون بالحلول الجزئي أو المعتدلين من الزيدية يقولون أن الإمام لا يتمتع إلا بتوجيه إلهي فقط[24].والفاطميون فرقة من فرق الشيعة الإسماعيلية، الذين يتمسكون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وهو السابع في سلسلة الإئمة ولهذا عرفوا أيضاً بـ (السبعية) ويقولون إن الإمام إسماعيل يختم قائمة لائحة الإئمة الشرعيين الظاهرين، على عكس غالبية الشيعة الإمامية الذين يضعون مكان إسماعيل أخاه الأصغر موسى الكاظم، ثم خمسة من لائحة الظاهرين بعده آخرهم محمد بن الحسن بن علي العسكري فهو الإمام الثاني عشر[25].

ما تجدر ملاحظته في أمر الشيعة هنا هو مطالبتهم بأن تكون الإمامة في آل البيت من العلويين، وهذا لاشك واجه رفضاً من العباسيين الذين ينازعونهم نفس الحق، لذلك التجأ الشيعة لستر الإمام وكتمان العقيدة، كل ذلك كان سبباً في دخول كثير من الغاصبين والأدعياء في المذهب، ومنهم من انتهز الفرصة فعلا ونجح في استغلال الدعوة لصالحه ومنهم من انحرف عن مبادئ المذهب، أو حرفها مما جلب النقمة والسخط على الإئمة. يبدو أن ما أتسمت به الدعوة الفاطمية من شطط خاصة بعد قيام الدولة واختلاف مذهبها عن

مذهب أهل البلاد السنة خلق شيئاً من عدم الاستقرار.في بدء أمر الدعوة احتضنتها قبيلة كتامة في بلاد المغرب وتبنت أمر دعوة القبائل الأخرى إلى الإمام الفاطمي مستغلّين خلافهم ونقمتهم على الأغالبة الذين أساءوا إلى رعاياهم في آخر أمر هم ومارسوا الشطط في استخدام السلطة الأمر الذي أجج ثورة القبائل ضدها معتنقة الفكرة الشيعية الفاطمية الجديدة، وذلك انطلاقاً من مبدأ التغيير ورفض النظام القائم. ولكن بعد أن اتضحت توجهات الإمام الفاطمي وما مارسه من تنكيل حتى تجاه الذين قاموا له بالدعوة إضافة إلى ما أشرنا إليه من خلاف مذهبي، لكل هذه الأمور مجتمعة عادت قبائل المغرب إلى الثورة من جديد بل عقد بعضها تحالفات مع الأمويين في الأندلس مثل ثورة مخلد أبن كيداد الزناتي الذي أمده عبدالرحمن الناصر الأموي بالمال والسلاح.كذلك ثورة صاحب الحمار التي استمرت لأكثر من عقد من الزمن وهددت أكثر من مرة الدولة الفاطمية في إفريقية.كذلك لم تستطع هذه الدولة بسط نفوذها في بلاد المغرب نتيجة لوقوعها في دائرة الحكم الأموي في الأندلس،الذي بادر هو الأخر بإعلان الخلافة الأموية في الأندلس في(316هـ) بزعامة عبدالرحمن الناصر رداً على الخلافة الفاطمية التي ظهرت علي حدوده في عدوة المغرب.كل هذه الأمور مجتمعة جعلت الفاطميين يتجهون بأنظارهم شرقا والتفكير في انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حيث يوجد الأنصار إضافة إلى ضعف الخلافة العباسية وكذلك الدولة الأخشيدية في مصر.لذلك نجد الفاطميين بعد أن أمضوا سبعين عاما في افريقية قد انتقلوا إلى مصر ليدخلوا مرحلة جديدة من الصراع في المشرق.

الخاتمة:

من خلال حوصلة هذا البحث الذي يعالج إشكالية الحاكمية تبقي هذه المعضلة قائمة وإشكالية جدلية تتمظهر في كل عصر أو حقبة زمنية بمظهر معين رغم الإلحاح على قضية النسب النبوي ووضعها في مفهوم سياسي له الأحقية في الحكم أو ممارسة السلطة الروحية والزمنية الا أننا نجد هذه الحـ[illegible]ـية تضعف كلما مضى عليها زمن معين فنجد الدولة التي تأسست وفق هذا المفهوم لم تستطيع أن تحصن نفسها أمام معارضيها أو الخارجين على سلطتها الذين هم بدورهم يتبنون أفكاراً أخرى مغائره لأيدلوجية الدولة القائمة في سبيل اسقاطها تحت إي دريعة من الدرائع دون أن تكون مشروعية النسب حاسمه في الحكم السياسي .

الهوامش:

1.فالح الربيعي ، تاريخ المعتزلة. فكرهم وعقائدهم ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة 2010 ص 13.
2.أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، الإمامة والسياسية ، دار المعارف تونس ، ب ت ، ص 14.
3.عبدالجواد ياسين ، السلطة في الإسلام ، ط1- المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1998 ، ص208.
4.ماوردي ،الأحكام السلطانية ، تحقيق عبدالرحمن حياوي ، دار الأرقم ، بيروت- لبنان ، ص65.

5.الشيخ أبوالعباس أحمد الناصر ، الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى ، الدولة الأدريسية ، تحقيق جعفر ومحمد الناصر ، دار الكتاب - الدار البيضاء – المغرب ، 1954 ، ص135.
6.عبدالواحد دنون طه والآخرون ، تاريخ المغرب الإسلامي ، الطبعة الأولي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان2004، ص187.
7.ابن حزم ، جمهرة انتساب العرب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1998 ، ص1.
8.قلائد الذهب ، ص8.
9.سورة الحجرات ، الأية 13.
10.قلائد الذهب ص8 ، ورد في سند بن حنبل2:374 - رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك ، رواه الترمدي في جامعة، وقال حديث غريب.
11. قلائد الذهب ، ص8.
12.أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي جمهرة انتساب العرب ، منشورات محمد عليبيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1998 ، ص2.
13.الدمشقي ، قلائد الذهب ، ص7.
14.سورة الشورى ، الأية 23.
15.دنون،نفسه ، ص184.
16.دنون ، ص194.
17. نفسه ، ص192.
18. نفسه ، ص196.
19.سعد زعلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي 2 تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبن مدرار والإدارية حتى قيام الفاطميين، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص429.
20.مراكشي مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأنصار ، نشر وتعليق : سعد زعلول ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1985م ، ص195.
21. سعد زعلول في المغرب ، ط2 ، ص537.
22. سعد زعلول ط2، ص537 - 538.
23. سعد زعلول ط2 ، ص539.
24.نفسه ، ص539.
25. نفسه ، ص540.